العربية مرتكز أساس في التنمية البشرية

الدكتور يوسف خلف محل العيساوي
كلية الآداب- الجامعة العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل شريعته بلسان العرب، وجعل بينهما أعظم نسب، والصلاة والسلام على نبينا محمد المنتجب، ثم الرضا عن آله وصحابته ذوي الفصاحة والأدب.

وبعد...

كثر الحديث في العقود الأخيرة عن التنمية (في هذا المصطلح ينظر: الهنداوي، 1424هـ، التعليم وإشكالية التنمية: 73– 93، وفي مراجعة لمتعلقات مصطلحات التنمية ينظر: اسامة القفاش، 2008م، قراءة مفاهيمية في قاموس التنمية: 2/ 433– 538) البشرية في مختلف بلدان أُمتنا، والمتابع لهذا لا يسمع لأثر العربية في هذه التنمية المنشودة، إلا كلامًا كُتب هناك أو قيل هنا[1]! بل رأيت ما لا يحسن السكوت عنده، فممن يتكلم في التنمية البشرية لا يحسن التعبير ولا التفكير، ومع ذلك ينطلق بسامعه إلى مرتكزات الإبداع المزعومة.

فـ(من المحال أن تنقل الأُمة كلها إلى العلم، ولكن من الممكن أن تنقل العلم كله إلى الأُمة، بإتاحته لهم باللغة القومية، إنه لا تنمية دون تعريب التعليم)(بو درع والخطيب والاعشير، 1425هـ، اللغة وبناء الذات: 20).

وقال الدكتور علي القاسمي: (وغني عن القول ان التنمية اللغوية هي أساس التنمية البشرية الشاملة)(القاسمي، 2004، تنمية اللغة حاسوبيا: 1/ 349).

لقد نسي هؤلاء أنَّ اللغة والدين مقصدان للعولمة، يقول صومئيل هنتنغتون في كتابه (صدام الحضارات): (العناصر الرئيسة لأي ثقافة وحضارة هي اللغة والدين، اذا كانت هناك حضارة آخذة في الانبثاق فإنه ينبغي أن توجد اتجاهات نحو انبثاق لغة عالمية وديانة عالمية)(صموئيل هنتنغتون، 1999، صدام الحضارات: 133)!

وابن خلدون ذكر في مقدمته: (إن الأُمة إذا غلبت وصارت في مُلك غيرها أسرع إليها الفناء)(ابن خلدون، 1989، المقدمة: 148).

فالنهوض السياسي والاقتصادي والاجتماعي، مرتبط بالنهوض اللغوي؛ فإتقان اللغة يؤدي إلى تيسير اكتساب المعارف وتمثلها وإعادة إنتاجها والإبداع فيها وتوثيقها ونقلها من جيل إلى جيل (فاللغة أداة التبادل).

وأُحب الترديد لشيء مهم، وهو: (إنَّ العولمة ذات الاتجاه الواحد لن تكون قادرةً على الاستمرار، وإن استطاعت الانتصار المؤقت، وإنما ستتعرض بسبب ظلمها، وأنانيتها وإثرائها غير المشروع للزوال، والعبرة بالعواقب)(حسنه، 1425هـ، قوة الثقافة لا ثقافة القوة: 64).

---

(1) كلامي عمّن تصدى لقضية التنمية في هذه الأيام، إذ بتدريبه ودوراته، وتثقيفه لا يولي العربية حقَّها، وإلا فقد قام كثيرون من علمائنا بواجبهم نحو العربية وهوية الأُمة، فكتبوا في قضايا التعريب والدعوة إلى التزامه في جميع مراحل التعليم، وقضايا الهوية الإسلامية والتنمية الشاملة، والتنمية اللغوية، ونحو ذلك.

ومن يلحظ أُمتنا يرى نفرًا فيها تنكروا لذواتهم، فجعلوا من اكتساب اللغة الانكليزية مثلاً مطلبًا رئيسًا من مطالب التقدم التقني وسوق العمل، حتى أصبح الاعتقاد بإتقان هذه اللغة مساويًا للحياة. فصارت سوقنا تطرد كثيرا من أبنائنا لعدم إتقانه هذا اللسان.

فالأُمة المهتدية لا تُبدّل نمط ثقافة شعبها، وأُسلوب تفكيره ليتأقلم مع لغة الثقافة الدخيلة المحتاجة إليها؛ وإنما تسعى لترويضها وإخضاعها لأنماط ثقافتها، ومنهاج تفكيرها؛ فإنّ هذه العلوم في مبدأ أصلها الفطري محايدة، لا علاقة بها بلغة أهلها وثقافتهم(ينظر: با حارث، 1426 هـ، التربية اللغوية العربية: 63).

فالتقنيات غير المفاهيم، لأنَّ خصوصية المفاهيم تحتاج إلى حيطة وحذر، يقول الدكتور طه جابر العلواني: (وقد تتناسى الأُمة خصوصيتها المعرفية، وتخلط بين ما هو مشترك إنساني كالعقليات، والطبيعيات، والتجريبيات؛ وما هو من الخصوصيات الملية، فتتساهل باستعارة المفاهيم من غيرها حتى تفقد خصوصيتها الملية والشرعية، والمنهاجية المتعلقة بها؛ فتدخل مفاهيمها دائرة الغموض والارتباك)(من تقديمه لكتاب (بناء المفاهيم، 1429هـ): 1/ 8).

ولقد برهنت العربية في الماضي والحاضر على أنها مستعدة بامتياز لحمل العلم التجريبي ومكتشفاته، وهي طيعة لهذا كله يوم أن كان أبناؤها حريصين على خدمة أنفسهم، آخذين بطريق الجد والإبداع، فمتى تمكن الباحث من لغته وجد فيها وفاءً لأداءِ كل ما يجول بخاطره، ووسيلة الانفتاح إلى العالم.(ينظر: مدكور، 1394هـ، العربية لغة العلم والتكنولوجيا: 21)

وعند النظر في حالنا اليوم، وجدت من الواجب على طلاب العلم، ولا سيما حملة العربية الوقوف عند قضايا العربية والحضارة المعاصرة، وما جد في أذهان نفرٍ من طلابنا عن العربية وخصائصها، وصلاحها لحمل علوم اليوم.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث مستوحاة من خواطر مفردات المؤتمر، بعنوان: (العربية مرتكز أساس في التنمية البشرية)، فهو بعد هذه المقدمة يقع في مبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: التعبير والتفكير.

المبحث الثاني: اللغة والمجتمع.

الخاتمة: وفيها التذكير بأهم نتائج البحث.

فبغير العربية سوف يختفي أضخم تراث بشري، وينقطع العمل بحضارة القرآن، وهو مطلب يعمل من أجله الكثير، ولنيله تسخر كافة الوسائل. (ينظر: الأوراغي، 1431هـ، لسان حضارة القرآن: 52)

وتكمن أهمية البحث بما يأتي:

الأول: ربط التنمية الشاملة بالوعي اللغوي.

الثاني: بعث الاعتزاز بهذا اللسان.

الثالث: إبراز عالمية اللسان العربي.

الرابع: أثر قوة الأُمة في قوة اللسان.

فالعبث باللغة ودلالتها عبثٌ بأدوات التوصيل، ومن هنا توجهت كل السهام إلى وسيلة الاتصال والمواصلة: اللغة العربية، ومعهود العرب في الخطاب بمختلف الأسلحة المسمومة. (ينظر: حسنه، 1422 هـ،على طريق الشهود ملامح وآفاق: 99)

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

المبحث الأول

التعبير والتفكير

تشير بعض الدراسات إلى أنَّ المفكر الألماني هيردر (1744- 1803) ربما يكون الرائد الأول للنظرية التي تعزو دورًا أساسًا للُّغة في تشكيل نظرة الإنسان إلى الكون، وأنَّ اللغة ليست مجرد أداة تفكير، بل هي أيضًا القالب الذي يتشكل فيه الفكر. (ينظر: الفيومي، 1425هـ، أثر الثقافات على اللغة العربية: 2/ 170)

ويقول الدكتور محيي الدين محسب: (لقد أكّد "هيردر" أنَّ الروح الإنسانية تفكر بالكلمات، وأنّنا باللغة نتعلم التفكير، ومن ثَمّ فإنّنا إذا أردنا تحليل الفكر فليس من وسيلة إلَّا تحليل اللغة).(محسب، 1998م، اللغة والفكر والعالم: 8- 9)

وتقول جوديث جرين: (وقد أصبح من الواضح بدرجة متزايدة أنَّ الحديث عن التفكير مع تجاهل اللغة أمرٌ يعوزه التناغم إلى حد بعيد، فاصطلاحات النشاط اللغوي ليست ذات أهمية بالغة بالنسبة لتجارب تحقيق المفاهيم، لكنها الوسيط الأساسي لكافة أنواع التفكير). (جرين، 1992م، التفكير واللغة: 112)

ومن المهم أن نذكر هنا أنَّ عُلماءنا قد أحاطوا بهذه القضية، وهي علاقة التعبير بالتفكير عمليًا في وقت مبكر، ألا ترى أنَّ كل عالمٍ كان شرطُ علمه أن يُتقن هذا اللسان للأخذ بأيٍّ علمٍ شاء. يقول الإمام ابن تيمية: (واعلم أنَّ اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيرًا قويًّا بينًا، ويؤثر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأُمة من الصحابة، والتابعين. ومشابهتهم تزيد العقل، والدين، والخلق؛ وأيضًا فإنَّ نفس اللغة العربي من الدين، ومعرفتها فرض واجب). (ابن تيمية، 1419هـ، اقتضاء الصراط المستقيم: 1/ 527)

ويقول الدكتور مازن المبارك: (فاللغة وسيلة الفكر، وقالبه، وصورته، وفيها منه إيحاءاته، وإشعاعاته المستمدة من حياة الكلمات عبر تاريخها الذي هو تاريخ الأُمة).(المبارك، 1432هـ، وهذا لسان عربي مبين: 80)

ومن هنا كانت الصلة قوية بين مفردات اللغة، وعقلية أصحابها وعاداتهم، وإذا أردنا أنْ نتبيَّنَ هذه القضية بوضوح فعلينا أنْ نقف عند أمرين مهمين:

الأول: عروبة اللسان، وتيسير البيان.

والثاني: العربية والإدراك المعرفي.

الأول: عروبة اللسان، وتيسير البيان:

فقد وُصِفَ القرآن الكريم بكونه عربيًا في ستّ آيات، وجاء وصفه بـ"اللسان العربي" في ثلاث آيات، وجاء تفصيل كونه عربيا وليس أعجميا في آية واحدة، وجاء وصفه بالحكم العربي في آية واحدة؛ وبذا يكون مجموع ما ورد من ألفاظ العربية في القرآن الكريم إحدى عشرة آية باشتقاقين اثنين، هما: (عربيًا - عربي).

فالباحثون في حديثهم عن علاقة اللُّغة بالإنسان يُجمِعون على أن هناك علاقة وثقى بين اللغة التي يتكلم بها، ومدركاته العقلية، وذكائه وأنماط تفكيره.(ينظر: با حارث، 1426هـ، التربية اللغوية العربية: 45- 46)

فمما جاء وصف القرآن الكريم بكونه عربيا قوله تعالى: چ ﷺ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے چ[سورة يوسف، الآيتان: 1-2]، وقوله: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [سورة طه، الآية: 113]، وقوله تعالى: چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □ □ چ [سورة الزمر، الآيتان: 27- 28]، وقوله تعالى: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ[سورة فصلت، الآيات: 1- 3]، وقوله تعالى: چ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں چ[سورة الشورى، من الآية: 7]، وقوله تعالى: چ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ[سورة الزخرف، الآيات: 1- 3].

ومما جاء وصف القرآن الكريم باللسان العربي قوله تعالى: چ ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ چ [سورة النحل، الآية: 103]، وقوله تعالى: چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ [سورة الشعراء، الآيات: 193- 195]، وقوله تعالى: چ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ [سورة الأحقاف، الآية: 12].

وفي موطن بيّن أفضلية كون القرآن عربيا وليس أعجميا، وذلك قوله تعالى: چ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ [سورة فصلت، الآية: 44].

وفي موضع قال فيه: چ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ [سورة الرعد، الآية: 37].

وتوقف باحث عند هذه المواطن، وحللها تحليلاً بيانيًا (ينظر: في فضل اللغة العربية، د. أحمد عبده عوض: 37- 55)، ولاحظ أنَّ ختام هذه الآيات متسقٌ مع محتواها ومضامينها، فقوله تعالى: چ ڈ ژ چ في عجز آيتي يوسف والزخرف، وفيها وصف القرآن بقوله تعالى: چ ڈ ڈ ڈ ژ چ أي: لكي يتحقق لكم التعقل، والتدبر، والتبصر، والتفكر، والتفهم.

وجاء قوله تعالى: چ ۓ ۓ چ في عجز آيتي طه والزمر، وفيهما وصف القرآن كذلك بقوله تعالى: چ ۇ ۆ چ، لكي يتحقق لكم الكمال النفسي بالتقوى والخشية وترك المعاصي.

وجاء قوله تعالى: چ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ في عجز آية فصلت چ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ چ أي أنه نزل بهذه الكيفية، ليعرف هذا البيان وهذا الوضوح العلماء الراسخون.

ووردت صيغتان تفيدان الإنذار في عجز آيتي الشورى والأحقاف، وذلك في قوله سبحانه: چ گ گ گ گ چ، وقوله: چ ي ي ۓ ۓ ڭ ڭ چ، ووردت صيغة واحدة تفيد الإنذار متقدمة على قوله تعالى: چ ڈ ڈ ۀ ۀ چ في موضع الشعراء في قوله سبحانه: چ ں ڻ ڻ چ ، والمراد: أنه نزل بصورته هذه ليتحقق الانذار لهم والزجر لهم، لأهل مكة ومن حولها، وللذين كفروا وظلموا، كما أنه بشرى للمحسنين والصالحين.

ويقول الدكتور محمود توفيق محمد سعد، ملخصًا هذه الفكرة بقوله: (يُقرر القرآن الكريم في آيات عدة أنه عربي وبلسان عربي مبين، وعربية القرآن إنما هي عربية منهج إبانة؛ ولذا كثر في هذه الآيات قوله: چ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ، چڈ ژ چ...، وهذا كله إنما يكون من منهاج الابانة على معانيه ومقاصده ومغازيه). (سعد، 1432 هـ، سبل استنباط المعاني: 88)

فإتقان فقه مذاهب الإبانة في العربية من أعظم آلات العالم في استجلاء وتفرّس مسالك التهذيب والتربية والترغيب والترهيب للأُمة؛ ليقبل على أحكام الله سبحانه وتعالى إقداما مبعثه الحب والخوف والرجاء؛ فتكون إقامتهم في رياض الطاعة الخالدة. (سعد، 1432 هـ، سبل استنباط المعاني: 73)

فعالمية هذا اللسان من عالمية الرسالة، فكلمة "عربي" ما جاءت صفة للقوم، وانما للكتاب ولسانه، وهذا له بعده ودلالته، يقول الدكتور مازن المبارك: (ولم تأتِ "العربي" وصفا للقوم أو المخاطبين ليتلاءم هذا مع كون القرآن ليس خاصًا بالعرب وحدهم، ولا مخاطبا لهم دون سواهم، فهو للناس كافة وللعالمين جميعا، فكان أبلغ تعبير عن عالمية الدعوة، وإنسانية الرسالة، وعربية الخطاب، وكان أبلغ دليل على أنّ القرآن يعرّب

المسلمين لسانا، ولا مكان لألسنتهم فيه... إنَّ المسلمين يعرفون أنَّ لا إسلام بلا قرآن، وأن لا قرآن إلا بالعربية).(المبارك، 1420 هـ، مقالات في العربية: 12- 13)

وهذا يُفهم من إيضاح الإمام الشافعي -رحمه الله- لعربية القرآن في سِفره الجليل (الرّسالة)، فقد قال: (فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك). (الشافعي، الرسالة: 48)

والإمام الشافعي يذهب إلى أبعد من ذلك، فيقول: (وما ازداد إلى العلم باللسان الذي جعله الله لسان مَن ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له، .... ويكون تبعا فيما افترض عليه ونُدب اليه لا متبوعا). (الشافعي، الرسالة: 49، وعلّق الشيخ احمد محمد شاكر على هذا القول بدرة غالية جاء فيها: (في هذا معنى سياسي وقومي جليل؛ لان الأُمة التي نزل بلسانها الكتاب الكريم يجب عليها أن تعمل على نشر دينها ونشر لسانها، ونشر عاداتها وآدابها بين الأُمم الأُخرى... فمن أراد أن يدخل في هذه العصبة الاسلامية فعليه أن يعتقد دينها، ويتبع شريعتها، ويهتدي بهديها، ويتعلم لغتها) الرسالة: 49 هامش (2).)

والإمام الشافعي أطال النفس في ذلك نصيحة للمسلمين، فهو القائل: (فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين، والنصيحة لهم فرضٌ لا ينبغي تركه وإدراك نافلة خير لا يدعها إلا من سفه نفسه وترك موضع حظه، وكان يجمع مع النصيحة لهم قياما بإيضاح حقٍ، وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين من طاعة الله، وطاعة الله جامعة للخير).(الشافعي، الرسالة: 50)

وقال أيضا: (فإنّما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها).(الشافعي، الرسالة: 51- 52)

وهذا الذي قرّره الإمام الشافعي أفاد منه العلماء الذين جاءوا بعده، كابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن"، والطبري في "جامع البيان"، وهكذا سائر حملة الشريعة.

بل عندما يكون المسلمون في مستوى إسلامهم؛ فإنّ عالمية الإسلام وإنسانيته تتقاطع مع العولمة، وتتقارب معها في كثير من رحلة المستقبل، وتمتلك العلاج والأدوية الناجعة. (ينظر: حسنه، 1425هـ،قوة الثقافة: 70)

ادّعى أعداء العربية أنَّها لا تصلح للتعبير، وذلك لجمودها وصعوبتها، كي يتوصلوا إلى توهين أمرها وتبديلها (ينظر: مكتبي، 1412هـ، الفصحى في مواجهة التحديات: 169)، وقد نسي هؤلاء أو تناسوا قوله تعالى: چ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ چ [سورة القمر، الآية: 17]، فهذا يدل دلالة واضحة على تيسير السبيل الموصلة للقرآن، فجاءت ألفاظه بليغة سالمة من كل صعوبة. (ينظر: رفيدة، 2005م، بحوث في اللغة والفكر: 154)

(إنَّ الزعم بوجود صعوبة في تعلم الفصحى افتراءٌ لا مسوّغ له) (بو درع والخطيب والاعشير، 1425 هـ، اللغة وبناء الذات: 76- 77)

وغفلوا عن قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ چ [سورة الأنعام، من الآية: 124]، فهذا يقتضي أنّ العربية لو لم تكن مؤهلة للتعبير عن التنزيل والامتداد به وتحقيق خلوده لما كانت محلا للاختيار، ولو لم تكن من محركات التفسير والتفكير والاجتهاد لما كانت مؤهلة لأن تكون لغة التنزيل الخالد، وهكذا كانت العربية مُيسرة أداة للإبداع عند أهلها على مرِّ العصور في مختَلف العلوم، فاللغات تحيي الأُمم وتحيا بها، وإنَّ عزَّ الأُمة وتخلفها وتراجعها ينعكس بالدرجة الأُولى على اللغة، ومما تميزت به العربية أهليتها لحمل الرسالة الخالدة، والخلود يعني القدرة على الإنتاج في كل زمان ومكان والاستيعاب لحركة الحضارة ومعطياتها، فاللغة

هي غذاء التفكير وأداة التعبير، ووسيلة التواصل، فما تقدم يدل على تيسير علوم العربية لمن طلبها، فهي من لوازم تيسير فهم الكتاب. وقوله تعالى: چڑ ک ک ک گ گچ [سورة العنكبوت، من الآية: 18]، فالبلاغة والابانة تبقى وسيلتها اللغة بكل مكوناتها ودلالاتها.(ينظر: حسنه، 1429هـ، العربية لسان النبوة الخاتمة: 23، 51)

فالسعادة بالعلم تجعلك تتغلب على مصاعبه، فهذا ابن جني يقول: (وأذكر يومًا وقد خطر لي خاطر مما نحن بسبيله، فقلت: لو أقام إنسان على خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه إلا بهذا الموضع لما كان مغبونا فيه، ولا منتقص الحظ منه، ولا السعادة به).(ابن جني، 1999م، الخصائص: 3/ 256)

ويقول الرافعي: (إن هذه العربية بنيت على أصل سحري يجعل شبابها خالدا عليها، فلا تهرم ولا تموت). (الرافعي، 1394 هـ، تحت راية القرآن: 31)

وكان العلَّامة "محمد البشير الابراهيمي" يقول عن نفسه: ولقد بدأت دروسي ومحاضراتي في تلمسان باللغة العربية الفصحى، وأخذت نفسي بذلك أخذًا، أصل فيه إلى درجة الاغراب أحيانا، وكان لي من وراء ذلك الالتزام غرضان:

الأول: إقامة الدليل للمتعلمين باللغات الأجنبية على أن الفصحى لا تعيى بحمل المعاني، فإنها تبز اللغات في ميدان التعبير عن الحقائق، وقد بلغت في هذا الغرض ما أُريد.

الثاني: أن أُحدث في نفوس العامة المحبين للعلم أسفا يقض مضاجعهم فيدعوهم إلى تدارك ما فاتهم منها في أبنائهم. (ينظر: العثمان، 1428هـ، النبذ في آداب طالب العلم: 298)

الثاني: العربية والإدراك المعرفي:

جاء عن عُمر بن الخطاب τ أنّه قال: (فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية) (الباتلي، 1427هـ، الأحاديث والآثار الواردة في فضل اللغة العربية وذم اللحن "رواية ودراية": 83- 85)، وهذا الذي أمر به أمير المؤمنين τ من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يُحتاج اليه؛ لان الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربيّة هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السُّنَّة هو فقه أعماله. (ينظر: ابن تيمية، 1419هـ، اقتضاء الصراط المستقيم: 1/ 528)

يقول الجَرمي: (أنا منذ ثلاثون سنة افتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه).(الزجاجي، 1420هـ، مجالس العلماء: 191)

وعلّل ذلك بعضهم بقوله: (وذلك أن أبا عمرو كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الدين والحديث، اذ كان ذلك يُتعلم منه النظر والتفتيش). (الزجاجي، 1420هـ ، مجالس العلماء: 191)

وزاد الإمام الشَّاطبيّ على ذلك فقال: (سيبويه وإن تكلّم في النحو، فقد نبّه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع، وان المفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في كل باب ما يليق به، حتى أنه احتوى على علم البلاغة والبيان، ووجوه تصرفات الالفاظ والمعاني).(الشاطبي، 1424هـ، الموافقات: 5/ 54)

ومن هنا نُدرك أهمية قول أبي حيان في مفتتح تفسيره: (فالكتاب هو المرقاة إلى فهم الكتاب). (الاندلسي، 1413هـ، البحر المحيط: 3/1) فالأول: إشارة إلى كتاب سيبويه، والثاني: الكتاب العزيز. وهذا لا يُستغرب، فكتاب سيبويه هو العمدة في فهم معاني العرب وأساليبهم.

وقال ابن حَزم الأندلسيّ: (وأمَّا النحو واللغة ففرض على الكفاية... لأن الله يقول: چگ گ گ گ گ گ گ ں چ [سورة ابراهيم، من الآية: 4]، وأنزل القرآن على نبيه عليه السلام بلسان عربي مبين، فمن لم يعلم النحو واللغة فلم يعلم اللسان الذي به بيّن الله لنا ديننا وخاطبنا به، ومن لم يعلم ذلك فلم يعلم دينه...

ولو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن، وفهم حديث النبي ρ، ولو سقط لسقط الاسلام). وقال أيضا: (اما من وسم اسمه باسم العلم والفقه، وهو جاهل للنحو واللغة، فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة، وحرام على المسلمين أن يستفتوه؛ لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا الله تعالى به، وإذا لم يعلمه فحرام عليه أن يفتي بما لا يعلم).(ابن حزم، 1981م، رسائل ابن حزم: 3/ 162- 163)

قال ابن عطية: (اعراب القرآن أصلٌ في الشريعة؛ لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع). (ابن عطية، 1398ه، المحرر الوجيز: 1/ 25)

وقال ابن الأثير: (معرفة اللغة والاعراب هما أصلٌ لمعرفة الحديث لورود الشريعة المطهرة بلسان العرب). (ابن الأثير، 1403ه، جامع الاصول: 1/ 37)

إنَّ المُطالعَ لتاريخ العلماء وتراجمهم يرى أنهم يشاركون في العلوم ثم يتخصصون، أما في عصرنا الحاضر، فقد سيطرت فكرة الاختصاص على العقول وانقطعت الآصرة بين العلوم؛ فأصبحت بعض الكليات شرعية تكتفي من تعليم العربية بسويعات لا تغني ولا تكفي، فإذا نحن أمام جيل من المختصين بالشريعة لا يتقنون لسانها. (ينظر: المبارك، 1420ه، مقالات في العربية: 184- 185)

يقول ابن حزم: (من اقتصر على علم واحد لم يطالع غيره أوشك أن يكون ضُحكة، وكان مما خفي عليه من علمه الذي اقتصر عليه أكثر مما أدرك، لتعلق العلوم بعضها ببعض كما ذكرنا، وانها درجٌ بعضها إلى بعض كما وصفنا). (ابن حزم، 1981م، رسائل ابن حزم: 4/ 77)

فحديث علمائنا عن العربية والاشتغال بها من القُرب التي تنافسوا فيها، فهذا الزمخشري يقول في مقدمة كتابه "المُفصّل": (اللهَ أحمدُ أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز). (المفصل: 29) بل إنَّ التكلم بالعربية عبادةٌ، كما جاء عن بعض العُلماء في التزامه العربية الفصحى تحدثًا.(ينظر: أبو غدّة، 1428ه، صفحات من صبر العلماء: 77، هامش (1))

وتحت قوله تعالى: چ ه ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ چ، معنىً عظيم، أشار إليه الدكتور محمود توفيق محمد سعد بقوله: (فمن وجوه المعنى: إنَّ هذا القرآن العظيم الذي أُوحي إليك شرفٌ عظيم لك ولقومك، تذكرون به حيث يذكر هذا الوحي، فهو بلسانك، لسان قومك لا يُتلى بغير هذا اللسان؛ فالناس لكم فيه تبع، ينطقون بما ينطق لسانكم، والتبعية اللسانية هي في الحقيقية تبعية فكرية ونفسية؛ لأنَّ اللسان هو مرآة العقل والنفس، فمن تبعك في لسانك تبعك في عقلك ونفسك، ولهذا تجد الأُمم المتقدمة مدنيا تحرص على أن لا يكون قومها تابعين لغيرهم لسانيا، على نحو ما تراه في فرنسا وألمانيا، وتحرص على نشر لغتهم؛ فيقيمون الجامعات الناطقة بلسانهم، وينفقون عليها؛ لأنَّها جيوش تغزو العقل والنفس، والأمر بعكسه في ديار العروبة، نجد جامعات عربية لا تتخاطب إلا باللسان الأعجمي في مكاتباتها، ثم يكذبون ويقولون إننا عرب). (سعد، 1430 ه، دلالة الألفاظ على المعاني عند الأُصوليين: 649)

إنَّ من يُهمل العناية بلسانه، فقد أهمل العناية بآلة تمييزه عن سائر الكائنات، وأهمل العناية بصورة عقله، ومرآة نفسه، وصوت فكره. (ينظر: المبارك، 1429ه، خواطر مضيئة: 17)

ففي العربية دوَّن المسلمون حضارةً، وكانت لهم بها الريادة في الرياضيات، وعلم الفلك، والجغرافية، والطب، وعلم التشريح، وجميع العلوم في عصورهم الذهبية.

ونختم هذا الأمر بقول الأُستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة: (وقد استطاعت الأبحاث اللغوية أن تقرر أنَّ الفرد يكتسب من اللغة طرق التفكير الشائعة في المجتمع الذي نشأ فيه، وأنَّ اكتساب اللغة اكتساب بالضرورة لطرق التفكير). (خليفة، 1405هـ، اللغة العربية أساس نهضة أُمتنا ووحدتها: 8)

المبحث الثاني

اللغة والمجتمع

باللسان تتمايز المجتمعات، ويكون ذلك اللسان من أُسس هويته، فهو الرابطة للتواصل، والتعبير عمَّا في الضمير، وتقدم المجتمع مؤثر قويّ في تقدم لغته، وتراجعه يؤثر سلبًا فيه، وإذا لم تدرك العلاقة التبادلية بين اللغة والأُمة تحصل الكارثة الثقافية والمعرفية، والتاريخ خير شاهد على ذلك. (ينظر: حسنه، 1425هـ، قوة الثقافة: 88)

فمن بدهي القول أنَّ التجانس اللغوي بين أُمة من الأُمم يعدُّ واحدًا من أسرار النهضة والتقدم الحضاري، ولهذا تسعى دول الغرب المتحدثة بالانجليزية إلى محاولة تقريب عادات النطق بين فئات شعوبها المتعددة، وتخليص لغتهم من الأصوات ذات الطابع المحلي الضيق، بهدف تكوين لغة قومية مشتركة، تصلح للتفاهم العام بين أبناء اللغة الواحدة. (ينظر: با حارث، 1426هـ، التربية اللغوية العربية: 62)

وليس من وكد هذا المبحث التفصيل بتتبع قضايا اللغة والمجتمع؛ فقد قام علم بهذا الخصوص هو (علم اللغة الاجتماعي) . (ينظر: عبد العزيز، 2009م، علم اللغة الاجتماعي: 30- 34)، ولكن أبغي الوقوف عند أمرين، تحقيقًا لعنوان البحث، وإيضاح جمل منه المتحققة في تفاريقه:

الأول: قوة الأُمة واللغة.

الثاني: اقتصاد الأُمة واللغة.

الأول: قوة الأُمة واللغة:

صار معلومًا أنَّ اللغة ليست أداة تعبير فحسب، وإنَّما هي رابطة الحياة الفكرية، والعاطفية، والسلوكية للناطقين بها، وقد صرَّح (ماثيو أرنولد): أنَّ اللغة الأُم عنصرٌ جوهري في التربية الصالحة للفرد والمجتمع؛ فالاختلاف اللغوي يوسع من الفروق الاجتماعية. (ينظر: الفيومي، 1425هـ، أثر الثقافات على اللغة العربية: 2/ 164)

يقول الرافعي: (إنّما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية... ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردَّهم إليها، وأوجبها عليهم لما اطَّرد التاريخ الإسلامي، ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله، ولما تماسكت أجزاء هذه الأُمة ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية). (الرافعي، 1394هـ، تحت راية القرآن: 50- 51)

وعندما كان المسلمون أُمة قوية بدينها وحضارتها انبسط لسانها، وكان جسرًا لنقل ثقافات الأُمم؛ فتنافس الأعاجم على تحصيله، ورغبت الأُمم في الدخول فيه، وفضَّلوه على ألسنة الأُمم الأُخرى. ففي فردوس أُمتنا المفقود (الأندلس) بعد الفتح بخمسين عامًا أصبح الناس كلهم يتكلمون العربية، وحرَّروا بها العهود والمواثيق، حتى بين الأسبان، بل اتخذ النصارى من اللغة العربية ترجمانًا لعواطفهم ومشاعرهم وأقاموا بها شعائرهم. (ينظر: الجندي، 1402هـ، الفصحى لغة القرآن: 70)

يقول ابن خلدون: (اعلم أنَّ لغات أهل الأمصار انما تكون بلسان الأُمة، او الجيل الغالبين عليها، او المختطين لها؛ ولذلك كانت لغات الأمصار الاسلامية كلها في المشرق والمغرب لهذا العهد عربية... لأنَّ الناس تبعٌ للسلطان، وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام). (ابن خلدون، 1409هـ، المقدمة: 379)

فالعلم له مبدأ: وهو قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وتمام: وهو قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة، فلسان العرب أتم الألسنة بيانا وتمييزا للمعاني. (ينظر: ابن تيمية، 1419هـ، اقتضاء الصراط المستقيم: 1/ 474، وله كلام نفيس في دخول الأُمم إلى هذا اللسان: 1/ 526)

ومن هنا لا نعجب من قول أبي حيان التوحيدي: (وقد سمعنا لغات كثيرة، وإن لم نستوعبها من جميع الأُمم، كلغة أصحابنا العجم، والروم، والهند، والترك، وخوارزم، وصقلاب، وأندلس، والزنج؛ فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية، أعني: الفُرج التي في كلماتها، والفضاء الذي نجده بين حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي تذوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها). (التوحيدي، الامتاع والمؤانسة: 1/ 77)

ولما تمزقت الأُمة واختلفت دويلاتها تقلّص سلطانها، ففقدت مراكز مهمة، مثل الأندلس؛ فتطلبها الاستعجام في جوانب شتى من حياتها: السياسية، والفكرية؛ فتأثرت العربي سلبًا في ذلك، وخبر التاريخ صادق، وشاهد العصر حاضر.

وقد أشار الإمام ابن حزم الأندلسي الى هذه القضية بقوله: (إنَّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم؛ فانما يُقيّد لغة الأُمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها، ونشاط أهلها وفراغهم. وأمَّا من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف، والحاجة، والذل، وخدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، وهذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل ضرورة).(ابن حزم، الإحكام في أُصول الأحكام: 1/ 32)

قلتُ: صدق ابن حزم والله، فجميع الأُمة تعلم أنَّ الاستعمار لمَّا دخل بلادها عمِل في لسانها التخريب والتغريب، بل عمل على إبداله وإبطاله، ودعا إلى إحياء العاميات والدوارج، فلا يحقرنَّ أحدٌ منَّا أمر اللسان؛ فإنّه أمر عظيم، ولهذا قُرن بالدين. (ينظر: ابن تيمية، 1425هـ، تنبيه الرجل العاقل: 1/ 270، وله كلام مهم في: 1/ 271)

فإذا أراد مجتمع ما أن يسير في ركب الحضارة فعليه بالمشاهدة، وأن لا يكتفي بنقل الأجهزة والمعدات، فلنا في (اليابان) مثلٌ قويّ، فهي قد استوردت من الأفكار ما يلائم تربتها الاجتماعية، فقامت بتجريد الأفكار عن أي مضمون اجتماعي أو ثقافي، وتوسعت في الابتعاث. يقول الدكتور محمود محمد سفر: (لقد تبنّت اليابان أكبر حركة للترجمة، شملت جميع المعارف والعلوم، فكانت النتيجة انصهار الأفكار مع إمكانات الإنسان الياباني بتقاليده وتراثه وقيمه في بوتقة واحدة، نقلت المجتمع الياباني الى الصف الاول وبدون خسائر تذكر).(سفر، 1409هـ، دراسة في البناء الحضاري:- محنة المسلم مع حضارة عصره: 86)

هذا مع قلة موارد اليابان، ولغته الصعبة التي لا يمكن أن توازن بلسان العرب من حيث اليسر والغَناء. يقول الدكتور أحمد بن محمد الضبيب: (ونحن في هذا الصدد لا نمل من التمثيل باليابان، تلك البلاد الآسيوية العجيبة التي بدأت نهضتها في وقت متقارب لمحاولات النهضة في البلاد العربي ممثلة في مصر على وجه الخصوص، ففي مقال نشرته صحيفة (أساهي شيمبون) اليابانية، وترجمته ونشرته جريدة الشرق الأوسط يوم الثلاثاء 2000/3/7 بعنوان: اليابان انجليزية ضعيفة وجهل بالعالم، جاء ما مفاده أنَّ كبار المسؤولين السياسيين في اليابان لا يحسنون اللغة الانجليزية، وأنّ الشعب الياباني لا يعطي أهمية كبيرة لتعلم اللغة الانجليزية، بل ان اليابانيين يعانون من ضعف شامل في اللغة الانجليزية). (الضبيب، 1422هـ،اللغة العربية في عصر العولمة: 79)

ويقول عمر عبيد حسنه: (والغريب أنه لم يستفزنا اليوم الاقلاع العلمي والمعلوماتي لشعوب ولغات متعددة مثل الصينية، واليابانية، والعبرية، والكورية، وغيرها كثير، ومواكبة التطور التقني لمثل هذه اللغات العجيبة بأصواتها وألفاظها وخطها، وأشكالها، وليس ذلك فقط، بل ان الشعوب الحية تحاول إحياء لغاتها التي كادت تنقرض وتجتهد لتحلق الركب الحضاري وتتجاوزه). (حسنه، 1425هـ، قوة الثقافة: 96)

في حين إنَّ العربية متكاملة المخارج والمدارج، فصاحب اللسان العربي بما يمتلك من مرونة في سلمه الصوتي قادر على النطق بكل الأصوات والحروف، بينما غير العربي عاجز عن النطق بالكثير من الاصوات المتقاربة المخارج. (ينظر: ضبيان، 1418هـ،علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات (علم أصوات اللسان العربي): 163؛ وحسنه، 1422هـ، على طريق الشهود: 91)

ونختم هذا الأمر بذكر دراسة أُجريت في اليابان على اللغات العالمية تستهدف معرفة أكثر اللغات وضوحا صوتيا في استخدامات الحاسب الآلي، أثبتت هذه الدراسة أن اللغة العربي تتصدر هذه اللغات في هذه الناحية، بينما تأتي اللغة الصينية في آخرها، تحقيقا لقوله تعالى: چٹ ٹ ٹ ڤ ڤ فالعربية لغة الإبانة، وغيرها رطانة.(ينظر: الضبيب، 1422هـ،اللغة العربية في عصر العولمة: 30)

الأمر الثاني: اقتصاد الأُمة واللغة:

هناك من ضل الطريق للوصول إلى التقدم الاقتصادي لهذه الأُمة، إذ صار من أبنائها بوقًا للُّغات الأجنبية في إعلاناته، وسلعته، ومراكزه التسويقية؛ فأُهمل أمر اللسان، وإنه لأمرٌ عظيم، حتى صار كثيرٌ من أبناء هذه الأُمة يهرولون بدون وعي لتعلم اللغات الأجنبية دخولاً في سوق العمل والمال، ونسوا أنَّ اللغة الأُم في سوق العمل عاملٌ قوي في استجلاب الربح، وتكوين اقتصاد قوي للأُمة. فالقوة الاقتصادية لا تقل عن القوة العسكرية. يقول الدكتور أحمد عبد السلام: (هناك حقيقة أُخرى قد تكون مرة هي أنَّ اللغة قد تصبح عالمية لسبب واحد، وهو القوة العسكرية السياسية لأصحابها... ولكن العالمية لا تتأتى من القوة العسكرية فقط، فهي بإمكانها أن تؤسس اللغة، ولكن القوة الاقتصادية هي القادرة على رعايتها، وتوسيع انتشارها، وبصفة خاصة في عصر التطور الاقتصادي العالمي، وتؤيدها التقنية الاتصالية الحديثة، والمؤسسات الاقتصادية والصناعية العالمية).(عبد السلام، 1422هـ، العولمة الثقافية اللغوية: 140)

لقد أكّدت الدراسات الحديثة أنَّ هناك علاقة قوية في غاية الوضوح بين كثرة اللغات في بلد ما، وبين تخلف ذلك البلد وتأخره. فهذه القارة الأفريقية أكثر قارات العالم تخلفا ثقافيا يتحدث اهلها أكثر من 1300 لغة تقريبا، وبعض دولها تتخذ من الانجليزية او الفرنسية لغة رسمية، ومع ذلك لم تجنِ الا مزيدًا من التأخر الحضاري (ومن المعلوم أنَّ أُمة تتبنى لغة أجنبية في جميع مرافق ومجالات حياتها انما تمارس هلاكها واضمحلالها وتسعى بنفسها نحو الانتحار الحضاري). (با حارث، 1426هـ، التربية اللغوية العربية: 60)

من المهم أن نُشير هنا إلى الدراسة التي قام بها (فلوريا كولماس) إلى الدراسة التي قدمها في كتابه (اللغة والاقتصاد)، إذ نقل عن (جلنر) أنَّ الانتاج الصناعي يتطلب أساليب موحدة ومنظمة، كما يحتاج الى سكان متحركين ومتجانسين، وعلى درجة عالية من التعليم، وهذه المتطلبات تعني الحاجة إلى استعمال لغة واحدة موحدة عن طريقها يمكن أن يتواصل جميع أعضاء المجتمع الذين يشاركون في العملية الاقتصادية. (كولماس، 2000، اللغة والاقتصاد: 47)

ويعتقد بعض الباحثين (أنَّ التعدد اللغوي بين دول المجموعة الاوربية يعد عقبة اساسية تحول دون انصهارها في كيان موحد). (الضبيب، 1422هـ، اللغة العربية في عصر العولمة: 185)

ويقول (فلوريا كولماس): (ويشكل الاقتصاد النقدي، واللغة المشتركة كلاهما نقلة نوعية في التطور الاجتماعي من حيث انهما ينشئان أشكالاً جديدة العلاقات بين الأفراد، كما يفتحان إمكانات جديدة للمشاركة في الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية). (كولماس، 2000م، اللغة والاقتصاد: 53)

ويقول (جوناثان بول): (البلاد المجزأة لغويا بشكل كبير بلاد فقيرة دائمًا). (كولماس، 2000م، اللغة والاقتصاد: 44)

فهذه إسبانيا تعد السياحة الصناعة الأُولى فيها، ومع ذلك لم يكتب الاسبان أسماء شوارعهم، او تعليمات المرور او اسماء متاجرهم وفنادقهم بغير لغتهم. (ينظر: الضبيب، 1422هـ، اللغة العربية في عصر العولمة: 60)

لقد أعلن الكاتب الإسباني (كاميلو جوزي سيلا): (نتيجة لثورة الاتصالات سوف تنسحب أغلب اللغات من التعامل الدولي وتتقلص محليا، ولن يبقى من اللغات البشري إلا أربعة قادرة على الوجود العالمي والتداول الإنساني، وهي: الانجليزية، والإسبانية، والعربية، والصينية). (الفيومي، 1425هـ، أثر الثقافات على اللغة العربية: 2/ 185)

اللغة هي من أهم أدوات التشكيل الثقافي، بل من أهم عوامل تشكيل الأُمم، إن لم نقل أهمها... وهي مستودع ذخائر الأُمة، ومخزونها الثقافي وتراثها الذي يجسر بين حاضرها وماضيها، ويفصل بين حاضرها ومستقبلها، ويحدد قسمات شخصيتها، وملامح هُويتها. (ينظر: حسنه، 1425هـ، الخطاب الغائب: 19)

ويقول محمد الأوراغي: (وبالتخلي عن تعميم تدريس اللغات الأجنبية في وطن اللغة العربية تحصل إيفادات كبيرة، منها:

1. الاقتصاد في مالية التعليم.
2. توجيه أعلى نسبة من الممارسة الثقافية لذهن المتعلمين إلى المسميات بدل الأسماء.
3. الولوج التدريجي للعربية إلى جميع حقول العلم ومجالات العمل.
4. استفراد العربية بوظيفة التواصل في وطنها، فتقوى بالاستعمال، وتخرج من حلبة الصراع الداخلي الذي يهددها بالزوال.
5. تراص الأفراد في المجتمع، وخلوص الثقافة من النغل، واللسان من اللغط.

وكل ذلك وغيره الكثير من شروط التنمية البشرية وإطلاق النهضة الحضارية).(الاوراغي، 1431هـ،لسان حضارة القرآن: 70)

ويقول الدكتور طه جابر: (لا يمكن لهذه الأُمة أن تعي ذاتها وترمِّم بنيانها، وتعيد بناء وحدتها، وتسترد فاعليتها الفكرية والإبداعية، وتشق طريقها نحو النهوض بدون إحياء روابطها بلسان القرآن، وربط سائر لغاتها به، سواء أكانت لغة كتابة، أو لغة تشريع وفقه وقانون، أو لغة فلسفة، أو اقتصاد، أو اجتماع، أو سياسة، أو طب، أو هندسة؛ فالأُمة التي لا تفكر بلغتها، ولا تتعامل مع العلم بلسانها لا يمكنها أن تعالج أزماتها الفكرية والمعرفية والحضارية، أو تتبنى لنفسها مشروعًا حضاريًا، أو تشق طريقها إلى النهوض). (العلواني، 2008م، لسان القرآن ومستقبل الأُمة القطب: 16)

الخاتمة

في هذه العجالة أحببتُ التذكير بأُمورٍ لا بُدَّ من الوقوف عندها:

1. اللغة أساس متين لهُوية الأُمة، فينبغي بعث الاعتزاز بها، والعمل على الدفاع عنها، وتيسير السبل للتحدث بها.
2. الوسائل الحديثة في عالم الاتصالات تستطيع أن تعمل على نشر العربية الفصحى من غير عناء، وذلك لأنَّ اللغة تقوم على التلقي والمشاهدة، والعربية بخصائصها الطيعة أثبتت قدرتها على تمثل مكتشفات العصر، بل هي أوضح اللغات إبانة في عالم الحاسوب.
3. ينبغي التحذير من الدعوات التي تقرّر أنّهُ لا توجد علاقة بين التعبير والتفكير، فلتعبر الأُمة بما تشاء، والمهم هو التفكير، فهذه الدعوة لا تقوم على أساس علمي وهي مصادمة لعقيدة الأُمة وتراثها.
4. سيادة العربية في مناحي الحياة العلمية والاقتصادية والفكرية والإعلامية يُقرّب جميع المعارف للأُمة بطريق سهل، ويقودها إلى مراكز الإبداع.
5. سيادة العربية في وطنها، وفي سوقها يحفظ أموال الأُمة من التبديد؛ لأنَّ اللغة رصيد، فتُيسّر كل سبل التجارة، وتقود إلى الربح.
6. اللغة رابطة اجتماعية، وهي عامل قوي لرفع الفوارق والاضطرابات بين أبناء المجتمع، فهي تدفع الاضطرابات النفسية والسلوكية التي تجلبها العجمة.
7. إنّ التنمية المنشودة لأُمة ما يجب أن يكون من أركان تلك التنمية لغتها الأُم.
8. تميَّزت العربية بجميع خصائص: السهولة، واليسر، والجمال، وهي قادرة على حمل علوم العصر، وقد أثبتت قدرتها وقوتها على مرِّ العصور. فهي ركيزة أساس لوحدة العلوم ووحدة الفكر.

المصادر

1. ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت: 606 ﻫ)، جامع الأُصول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر- بيوت، ط/2، 1403 ﻫ- 1983م.
2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: 728 ﻫ)، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار العاصمة- الرياض، ط/6، 1419ﻫ- 1998م.
3. _____، تنبيه الرجل العاقل، دار عالم الفوائد، ط/1، 1425 ﻫ.
4. ابن جني، عثمان (ت: 392 ﻫ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1999م.
5. ابن حزم، أحمد بن علي الأندلسي (ت: 456 ﻫ)، رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط/1، 1981م.
6. _____، الإحكام في أُصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، لا ت.
7. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808 ﻫ)، المقدمة، دار القلم-بيروت، ط/7، 1409ﻫ- 1989 م.
8. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 541 ﻫ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدوحة، ط/1، 1398ﻫ- 1977م.
9. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745 ﻫ)، البحر المحيط، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، ط/2، 1413ﻫ- 1992م.
10. أبو غدّة، عبد الفتاح (ت: 1417 ﻫ)، صفحات من صبر العلماء، دار البشائر الاسلامية- بيروت، ط/9، 1428ﻫ- 2007م.
11. الأُوراغي، محمد ، لسان حضارة القرآن، دار الأمان- الرباط، منشورات الاختلاف- الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط/1، 1431ﻫ- 2010م.
12. با حارث، عدنان حسن ، التربية اللغوية العربية، دار المجتمع- جدة، ط/1، 1426ﻫ- 2005م.
13. الباتلي، أحمد بن عبدالله ، الأحاديث والآثار الواردة في فضل اللغة العربية وذم اللحن "رواية ودراية"، كنوز اشبيليا- الرياض، ط/1، 1427ﻫ- 2006م.
14. بو درع، عبد الرحمن ؛ والخطيب، أحمد شوقي ؛ والاعشير، عبدالله آيت ، اللغة وبناء الذات، كتاب الامة، ع: 101، سنة: 24، 1425 ﻫ.
15. جرين، جوديث ، التفكير واللغة، ترجمة عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.
16. الجندي، أنور ، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، 1402ﻫ- 1982م.
17. حسنه، عمر عبيد ، الخطاب الغائب، المكتب الإسلامي، ط/1، 1425ﻫ- 2004م.
18. _____ ، العربية لسان النبوة الخاتمة، المكتب الإسلامي، ط/1، 1429ﻫ- 2008م.

19. حسنه، عمر عبيد ، على طريق الشهود ملامح وآفاق، المكتب الإسلامي، ط/1، 1422هـ- 2001م.
20. _____ ، قوة الثقافة لا ثقافة القوة، المكتب الإسلامي، ط/1، 1425هـ- 2004م.
21. خليفة، عبد الكريم ، اللغة العربية أساس نهضة أُمتنا ووحدتها، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، العدد المزدوج 25- 26، السنة الثامنة، 1405هـ- 1984م.
22. الرافعي، مصطفى صادق ، تحت راية القرآن، صححه: محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/7، 1394هـ- 1974م.
23. رفيدة، إبراهيم عبدالله ، بحوث في اللغة والفكر، كلية الدعوة الإسلامية، ط/1، 2005م.
24. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن (ت: 340 ه)، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط/3، 1420هـ- 1999م.
25. سعد، محمود توفيق محمد ، دلالة الألفاظ على المعاني عند الأُصوليين، مكتبة وهبة، ط/1، 1430هـ- 2009م.
26. _____، سبل استنباط المعاني، مكتبة وهبة، ط/1، 1432هـ- 2011م.
27. سفر، محمود محمد ، دراسة في البناء الحضاري:- محنة المسلم مع حضارة عصره، كتاب الأُمة، قطر، ع: 21، ط/1، 1409 هـ.
28. الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت: 790 ه)، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن القيم، دار ابن عفان، ط/1، 1424هـ- 2003م.
29. الشافعي، محمد بن إدريس (ت: 204 ه)، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المشرق للكتاب- دمشق، لا .ت.
30. ضبيان، نشأة محمد رضا ، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات (علم أصوات اللسان العربي)، الجفان والجابي، دار ابن حزم، ط/1، 1418هـ- 1997م.
31. الضبيب، أحمد بن محمد ، اللغة العربية في عصر العولمة، مكتبة العبيكان-الرياض، ط/1، 1422هـ- 2001م.
32. عبد السلام، أحمد ، العولمة الثقافية اللغوية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع: 60، سنة 25، 1422هـ- 2001م.
33. عبد العزيز، محمد حسن ، علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب- القاهرة، 2009م.
34. العثمان، محمد بن ابراهيم ، النبذ في آداب طالب العلم، الدار الأثرية، ط/5، 1428هـ- 2007م.
35. العلواني، طه جابر ، لسان القرآن ومستقبل الأُمة القطب، الدار العالمية للنشر، 2008م.
36. علي بن محمد أبو حيان التوحيدي (ت: 414 ه)، الامتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد لازين، دار مكتبة الحياة، لا. ت.
37. عوض، أحمد عبده ، في فضل اللغة العربية، مركز الكتاب للنشر- القاهرة، ط/1، 2000م.

38. الفيومي، محمد ابراهيم، أثر الثقافات على اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، ع: 103، القسم الثاني، 1425 هـ 2004م.
39. القاسمي، علي ، تنمية اللغة حاسوبيا، مجلة مجمع اللغة العربية– القاهرة، ع: 102– القسم الأول، 1425هـ– 2004م.
40. القفاش، أُسامة ، قراءة مفاهيمية في قاموس التنمية، نشر في كتاب (بناء المفاهيم)، دار السلام– القاهرة، ط/1، 1429هـ– 2008م.
41. كولماس، فلوريان ، اللغة والاقتصاد، ترجمة: د. أحمد عوض، مراجعة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، 263، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت، نوفمبر 2000.
42. المبارك، مازن ، خواطر مضيئة، دار البشائر– دمشق، ط/1، 1429هـ– 2008م.
43. _____ مقالات في العربية، دار البشائر– دمشق، ط/1، 1420هـ– 1999م.
44. _____ وهذا لسان عربي مبين، دار البشائر– دمشق، ط/1، 1432هـ– 2011م.
45. مجموعة من الباحثين، بناء المفاهيم، تقديم: د. طه جابر العلواني، دار السلام– القاهرة، ط/1، 1429هـ– 2008م.
46. محسب، محيي الدين ، اللغة والفكر والعالم، لبنان ناشرون، ط/1، 1998م.
47. محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538 هـ)، المفصل في علم العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار، ط/1، 1425هـ– 2004م.
48. مدكور، إبراهيم ، العربية لغة العلم والتكنولوجيا، مجلة مجمع اللغة العربية– القاهرة، ج: 33، ربيع الثاني 1394هـ– 1974م.
49. مكتبي، نذير محمد ، الفصحى في مواجهة التحديات، دار البشائر الإسلامية– بيروت، ط/1، 1412هـ– 1991م.
50. هنتنغتون، صموئيل ، صدام الحضارات، مالك عبيد أبو شهيرة، ومحمود محمد خلف، الدار الجماهيرية– ليبيا، 1999،.
51. الهنداوي، حسن بن إبراهيم ، التعليم وإشكالية التنمية، كتاب الأُمة، دولة قطر، العدد: 98، ذو القعدة، ط/1، 1424هـ.